الدرس الثالث عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً ، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكنا إلى أنفسنا طرفة عين . أما بعد :

قال الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى في كتابه المعنون بـ «عمدة الأحكام» :

كتاب الصلاة - باب الأذان

٧١ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((أَمَرَ بِلَالٌ أَنْ يَشْفَعَ الْأَذَانَ ، وَيُوتِرَ الْإِقَامَةَ)).

قال المصنف الإمام عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى في كتابه عمدة الأحكام ((باب الأذان)).

الأذان لغة: الإعلام ، ومنه قوله تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧] .
وأما شرعاً: فهو الإعلام بدخول وقت الصلاة بألفاظٍ مخصوصةٍ جاءت بها الشريعة .
وكلمات الأذان كلها ذكرٌ لله ، وتعظيمٌ له جل في علاه ، وتحقيقٌ للتوحيد ، وإذعانٌ لله سبحانه وتعالى بالعبودية ، وفيها دعوة الناس للصلاة ومناداتهم لها ، وإشعارهم بدخول وقتها ، ودعوتهم لتحصيل ثواب الصلاة والفلاح المترتب على القيام بها في الدنيا والآخرة .
وقد جاء في الحديث عند ابن خزيمة وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في مسير له فسمع مؤذناً فلما قال «الله أكبر ، الله أكبر» ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((على الفطرة)) ، فلما قال : «أشهد أن لا إله إلا الله» قال : ((خرج من النار)) ، فانطلق الصحابة سراعاً يبحثون عن هذا الذي أذن فإذا هو راعٍ في غنمه .
الشاهد من ذلك : أن الأذان فطرة الله عز وجل ، والفطرة هي دين الله ، ودين الله هو توحيدهِ وتعظيمه وإجلاله وتكبيره ، وهذا ما اشتملت عليه كلمات الأذان العظيمة .

وقوله ((خرج من النار)) دليل على عظم شأن كلمات الأذان وأنها باب للخروج من النار ، كما أنها في الوقت نفسه بابٌ لدخول الجنة إذا نبعث من قلب المسلم ، قد جاء في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ)).

الشاهد أن كلمات الأذان كلمات عظيمة جداً مع أن كثير من الناس استهانوا بها ولا سيما في متابعة المؤذن وأن تقول مثل ما يقول ، كثير من الناس لا يهتم بهذا الأمر ، مع أنه باب من أبواب دخول الجنة ؛ أن تستمع للمؤذن استماعاً جيداً وان تقول مثلما يقول ، توقف كلامك وأعمالك حتى لو كنت تقرأ القرآن تتوقف عن كل شيء وتستمع للأذان من قلبك وتقول من قلبك مثلما يقول المؤذن هذا باب من أبواب دخول الجنة .

هذه الأحاديث كلها تدلنا على مكانة الأذان العظيمة ومنزلته العلية والأثر البالغ على الأذان نداءً به وسماعاً له وقولاً مثلما يقول المؤذن من تحقيقٍ للفطرة وتكميلٍ له ، تحقيقٍ للتوحيد تعظيم لله ، وتهيئةٍ للنفس للقيام بالصلاة ، ورجاء موعود الله الذي أعده الله سبحانه وتعالى لعباده المصلين وأوليائه المقربين ، إلى غير ذلك من الثمار والآثار العظيمة التي تترتب على هذه الشعيرة العظيمة المباركة من شعائر الإسلام ، بل إنها أصبحت علماً على تميز البلد المسلم من غيره ، فبلاد الإسلام يرفع فيها الإسلام ويُسمع فيها الأذان ويُسمع فيها النداء ، ولهذا تجد الشخص إذا مر بمنطقة ولا يسمع فيها الأذان يسأل من بجواره يقول هل هؤلاء مسلمين ؟ لأن من علامة أهل الإسلام عند الأوقات الخمسة -الفجر الظهر العصر المغرب العشاء- يرتفع صوت الأذان .

وقد جاءت أحاديث كثيرة جداً في ثواب الأذان وعظم أجور المؤذنين يوم القيامة ؛ ففي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) ، فهذا المؤذن الذي يتكرر امتداد عنقه رفعاً بالصوت مناداةً بهذه الكلمات يجازى من جنس عمله ويتميز على الناس بطول عنقه ، يُعرف بهذه العلامة العظيمة المباركة يوم القيامة .

وجاء في الصحيحين عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْإِذَانِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا)) ؛ لو يعلم الناس أي ما في الأذان من الأجر والثواب العظيم عند الله سبحانه وتعالى ثم لم يجدوا إلا أن يقيموا بينهم قرعة في من يكون له الأذان لفعلوا ذلك ، ولكن لضعف إدراك الناس إدراك قلوبهم بفضل الأذان وعظيم شأنه يكون نتيجة ذلك التهاون وعدم الاهتمام .

والأذان من فروض الكفاية ؛ وفروض الكفاية : هي إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين . فالأذان من فروض الكفاية وهو على الرجال دون النساء . أما المرأة فليس عليها لا أذان ولا إقامة ، والسنة أن تصلي المرأة فروضها التي كتبها الله سبحانه وتعالى عليها بدون أذان وبدون إقامة . قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : «فلو صلت بأذان وإقامة -أي المرأة- أساءت وفعلت أمراً غير مشروع» ، وقال أيضا رحمه الله تعالى : «وهذا من خصائص الرجال» .

الحاصل أن المرأة ليس لها أذان ولا إقامة ، وإنما الأذان والإقامة من خصائص الرجال ؛ والأذان يشرع فيه رفع الصوت والمرأة مطلوبٌ منها أن تغض من صوتها ، والمرأة ليست من أهل الجماعة ، الجماعة إنما هي واجبة على الرجال ولهذا قال الله في القرآن: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ﴾ [النور: ٣٦-٣٧] . الحاصل أن الأذان هو من فروض الكفاية على الرجال وهو من خصائصهم ، أما النساء فليس عليهن أذان ولا إقامة .

قال رحمه الله تعالى : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((أُمِرَ بِإِلَالٍ أَنْ يَشْفَعَ الْأَذَانَ)) ؛ «أمر» بالبناء لما لم يسم فاعله ، والصحابي إذا قيل في حقه «أمر» أو «أمرت» فالأمر له النبي صلى الله عليه وسلم ، ونبينا صلى الله عليه وسلم إذا قال «أمرت» فالأمر له رب العالمين سبحانه وتعالى .

فقول أنس ((أمر بإلال)) أي أمره النبي صلى الله عليه وسلم ((أَنْ يَشْفَعَ الْأَذَانَ وَيُوتِرَ الْإِقَامَةَ)) ؛ يشفع الأذان : أي يأتي به شفعا مثنى مثنى ، عدا التكبير في أوله لأنها أربع تكبيرات والتهيل في آخره فإنها تهليلة واحدة ، وإلا بقية ألفاظ الأذان كلها مثنى مثنى .

((وَيُوتِرُ الْإِقَامَةَ)) عدا التكبير في أولها فإنه مثنى ، وعدا أيضا قد قامت الصلاة فإنها أيضا مثنى ، وبقية ألفاظ الإقامة يؤتى بها وتراً .

وإنما أمر أن يشفع الأذان فتكون ألفاظ الأذان أكثر من ألفاظ الإقامة لأنه والله تعالى أعلم الأذان نداء للغائبين البعيدين حتى يحضروا للصلاة ويتهيئوا لها ويأتوا لمكانها بيت الله ، وأما الإقامة فهي إعلامٌ للحاضرين في المسجد بأن الصلاة قد قامت فاكثفي بها بأن يؤتى بهذه الألفاظ وتراً أي تكون أقل من ألفاظ الأذان .

وكل من الأذان والإقامة يسمى أذاناً كما قال عليه الصلاة والسلام : ((بَيْنَ كُلِّ أَدَانَيْنِ صَلَاةٌ)) ؛ يعني أذان وإقامة ، فالإقامة أذان ولهذا يُشرع عند الإقامة أن تقول مثل ما يقول المؤذن لعموم قوله عليه الصلاة والسلام ((إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَدِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ)) أي في الأذان والإقامة على حدٍ سواء .

قال رحمه الله تعالى :

٧٢ - عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السُّوَائِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءٌ مِنْ أَدَمٍ ، قَالَ: فَخَرَجَ بِلَالٌ بِوَضُوءٍ ، فَمِنْ نَاضِحٍ وَنَائِلٍ ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقِيهِ ، قَالَ: فَتَوَضَّأَ وَأَذَّنَ بِلَالٌ ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَتَتَّبَعُ فَاهُ هَهُنَا وَهَهُنَا - يَقُولُ يَمِينًا وَشِمَالًا - يَقُولُ : حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ؛ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ثُمَّ رَكَزَتْ لَهُ عَنزَةٌ فَتَقَدَّمَ وَصَلَّى الظُّهْرَ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ)).

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث حديث أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي رضي الله عنه قال: ((أتيت النبي صلى الله عليه وسلم - زاد مسلم بمكة - في قبّة له حمراء من آدم)) ؛ هذه القبّة نُصبت للنبي صلى الله عليه وسلم في الأبطح - أعلى مكة - وكانت من آدم أي من جلد مدبوغ . وقوله «حمراء» لا يعني ذلك أنها حمارها خالص ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم صح عنه النهي عن «المَيَاثِرِ الحُمُرِ» أي خالصة الحمار . فقوله «حمراء» أي ليس حمار

القبة خالصًا وإنما تكون مقلّمة بأسود أو فيها سواد أو غير ذلك ، والنهي الذي ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو في ما كان حماره خالصًا ليس معه لون آخر يخالطه .
قَالَ: ((فَخَرَجَ بِلَالٌ بَوْضُوءًا)) خرج بلال : أي من عند النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الخطبة ، بَوْضُوءًا: أي فضل وضوء النبي عليه الصلاة والسلام ؛ أي باقي وضوءه عليه الصلاة والسلام .

قال : ((فَمِنْ نَاضِحٍ وَنَائِلٍ)) أي أن الصحابة القريبين من المكان حالهم مع هذا الماء حرصًا عليه وتبرّكًا به ، وهذا من خصائص النبي عليه الصلاة والسلام أنهم يتبركون بفضله وضوءه ، يتبركون بريقه ، بشعره عليه الصلاة والسلام ، إلى غير ذلك وهذا من خصائصه لا يجوز أبدًا أن يُفعل مع غيره ، خصّه الله تبارك وتعالى ببركة في وضوئه ، في ريقه ، في شعره ، في بدنه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

فقوله ((فَمِنْ نَاضِحٍ وَنَائِلٍ)) هذا وصفٌ من هذا الصحابي لحالهم مع ها الماء وأنهم على قسمين :

قسم أخذ يصيب من هذا الماء ؛ « نَائِلٍ » أي نال نصيبًا من هذا الماء .
والقسم الآخر جاءه رش من هذا الماء ، النضح هو الرش ، لم يأخذ وإنما جاءه رش يسير من هذا الماء .

((فَمِنْ نَاضِحٍ وَنَائِلٍ)) يعني منا من اغترف أخذ من هذا الماء ، ومنا من لم يُصَبْ غرفةً من هذا الماء وإنما جاءه رش من هذا الماء . فهذا الصحابي يصوّر حال الصحابة رضي الله عنهم في حرص كل واحد منهم أن يكون له نصيب من هذا الماء ، فكانوا على قسمين : ((فَمِنْ نَاضِحٍ وَنَائِلٍ)) والنائل أوفر نصيبًا من الناضح.

قَالَ: ((فَخَرَجَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ)) وهذه الحلة الحمراء ليس حمارها خالص كما أشرت قبل قليل ، وإنما حمارٌ حُلُطٌ بشيء من السواد أو مقلّم بسواد أو نحو ذلك ، ويُنظر في تحقيق هذه المسألة في كتاب زاد المعاد للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كلامه على لباس النبي صلى الله عليه وسلم .

قال : ((كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقِيهِ ، قَالَ: فَتَوَضَّأَ وَأَذَّنَ بِلَالٍ ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَتَّبَعُ فَأَهُ -أي بلال- هَهُنَا وَهَهُنَا)) ؛ « هَهُنَا » ظرف مكان ، فهاهنا أي إلى هذه الجهة ، وهاهنا أي إلى هذه الجهة .

ف« أَتَّبَعُ فَأَهُ » أي أنه عندما يأتي إلى المناداة للصلاة «حي على الصلاة حي على الفلاح» يستدير بفاه إلى جهة اليمين ثم إلى جهة اليسار ، حتى يُسمع من هنا ومن هنا ، مع رفع صوته بالأذان .

ف((أَتَّبَعُ فَأَهُ هَهُنَا وَهَهُنَا)) قال العلماء مع ثبوت القدمين في الأرض ، يعني لا يستدير ببدنه ، بل ببدنه ثابت كما هو ، قدماه في موضعها في الأرض لكنه يستدير بجسمه يميل بجسمه مرة إلى ذات اليمين ومرة إلى ذات الشمال، من أجل ماذا؟ الحكمة من هذا الصنيع أن يُسمع من كانوا على جهة اليمين وأن يُسمع من كانوا على جهة الشمال ، هذا الحكمة منه .

فما الصنيع الآن مع وجود مكبرات الصوت ؟ وهي أصلاً في المساجد موجَّهة إلى الجهات كلها ، سواء الإمام استدار بفاه ذات اليمين أو ذات الشمال هي موجهة والغرض حاصل حاصل ، والحكمة من هذا العمل والغرض منه إسماع من هم على ذات اليمين ومن هم على ذات الشمال ؛ فهل عندما يؤذن المؤذن وأمامه مكبر الصوت هل يصنع هذا الصنيع أو لا ؟

● في فتوى مشايخنا الكرام في اللجنة الدائمة للإفتاء ؛ الشيخ بن باز وأهل العلم معه وكذلك الشيخ بن عثيمين رحمه الله يفتون بأن هذا مع وجود مكبرات الصوت لا يُفعل لأن الغرض الحاصل متحقق بدونه ، بل إنه لو أنه استدار ضعُف صوته ، لو أنه استدار بفيه إلى ذات اليمين بُعد عن اللاقط الذي يُسمع الناس وضعُف الصوت فالغرض المقصود يضعُف ، إلا إن تكلف أن يستدير أن يميل بجسمه إلى أن يكون قريباً من اللاقط . ففي فتوى اللجنة الدائمة وكذلك الشيخ بن عثيمين رحمه الله يرون أن مع وجود مكبرات الصوت لا يُفعل ذلك ، لأن المقصود من هذا الالتفات حاصل بوجود المكبرات المفرقة إلى الجهات المختلفة .

● ومن أهل العلم من يرى أن هذا العمل باقٍ ، محافظةً على هذه السنة المأثورة في هدي النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

قال : ((فَجَعَلْتُ أَتَّبَعُ فَأَهْ هُنَا وَهَهُنَا - يَقُولُ يَمِينًا وَشِمَالًا - يَقُولُ : حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ)) وهذا فيه أن هذا الالتفات يمينًا والالتفات شمالًا إنما هو عند المناداة للصلاة «حي على الصلاة حي على الفلاح» عند الإتيان بهذه الكلمات في الأذان يكون الالتفات يمينًا وشمالًا ، لا أن يفعل ذلك في ألفاظ الأذان كلها وإنما يفعل عند هذه الكلمات «حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ» .

● قيل أنه يقول «حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ» كلها في اليمين ، و«حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ» كلها في الشمال .

● وقيل إن كل منهما يفعل منه شيء في اليمين وشيء في الشمال ؛ «حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ» ثم يلتفت شمالًا ويقول «حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ» ، ثم يلتفت يمينًا «حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ» ثم يلتفت شمالًا ويقول «حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ» .
قيل هذا وهذا .

((ثُمَّ رَكَزَتْ لَهُ عَنزَةٌ)) ؛ «العنزَة» : عصا صغيرة كانت تُحمل للنبي صلى الله عليه وسلم يستفيد منها في مصالح عديدة ومنها تكون سترةً له في صلاته .
((ثُمَّ رَكَزَتْ لَهُ عَنزَةٌ)) أي من أجل أن تكون سترةً له في صلاته صلى الله عليه وسلم .
((فَتَقَدَّمَ وَصَلَّى الظُّهْرَ رُكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ صَلَّى العَصْرَ رُكْعَتَيْنِ)) ؛ وهذه صلاة مسافر ، لأنه كان عليه الصلاة والسلام في سفر .
((ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُصَلِّي - أي الرباعية - رُكْعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى المَدِينَةِ)) .

قال رحمه الله تعالى :

٧٣ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ((إِنَّ بِلَالًا يُؤَدِّنُ بِلَيْلٍ فَكُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى تَسْمَعُوا أَذَانَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ)) .

قال : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ((إِنَّ بِلَالًا يُؤَدِّنُ بِلَيْلٍ)) يُؤَدِّنُ بِلَيْلٍ : أي قبل أن يدخل وقت الفجر ، قبل طلوع الصبح ، طلوع الفجر الصادق الذي به يكون وقت الفجر قد دخل . فكان يُؤَدِّنُ بِلَيْلٍ معنى «يُؤَدِّنُ بِلَيْلٍ» :

أي أن وقت الفجر ما دخل . وهذا من خصائص أذان الفجر أنه يجوز أن ينادى ويؤدّن للصلاة قبل دخول وقته ، أما الصلوات الأخرى فلا يشرع ذلك إلا في الفجر خاصة ، وهذا لحكمة جاء التصريح بها في بعض ألفاظ الحديث قال : ((لِيُوقِظَ نَائِمِكُمْ وَلِيَرْجِعَ قَائِمِكُمْ)) ، فيكون هذا الأذان قبيل وقت الفجر بوقت لا يكون طويلاً ، حتى إنه جاء في بعض الأحاديث إشارة إلى قرب الأذنين أنه ينزل هذا ويصعد هذا .

فالمراد بذلك أنه ليس هناك فاصل طويل بين الأذنين ؛ أذان الفجر الأول والأذان الثاني ، فيكون الفاصل بحدود النصف ساعة ثلاث ساعة في هذه الحدود ، من أجل أن يوقظ النائم الذي يتدارك شيئاً قبل الأذان مثل أن يصلي الوتر مثل أن يتناول سحوراً يشرب ماء أن يصوم ، وأيضا يرجع القائم يرتب أموره ويستعد لصلاة الفجر أو نحو ذلك ، فيكون هذا الأذان الذي هو الأذان الأول الذي هو قبل دخول الوقت الغرض منه هذا الأمر ، لكن صلاة الفجر لم يدخل وقتها بهذا الأذان ؛ لأنه أذانٌ لبيل ، فمن أراد أن يصوم له أن يأكل بعد الأذان الأول ، ومن أراد أن يصلي من الليل يصلي لأنه ما دخل الفجر بعد .

قال : ((إِنَّ بِلَالاً يُؤَدِّنُ بِلَيْلٍ فَكُلُوا وَاشْرَبُوا)) ؛ لأنه لم يدخل وقت الفجر الذي يكون به الإمساك لمن أراد أن يصوم ، ويكون أيضاً دخول وقت الفجر .

قال : ((فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى تَسْمَعُوا أَدَانَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ)) الأذان الثاني كان عند ابن أم مكتوم رضي الله عنه وكان كفيف البصر ؛ وهذا فيه دليل على أن الأذان لا بأس أن يتولاه من هو كفيف البصر ، المهم في المؤذن أن يكون أميناً صبيحاً ؛ صوته ندي وعالي رفيع محافظاً على الوقت ، لأنه يترتب على عنايته بالوقت شعيرة عظيمة يُعلم الناس بأنه دخل الوقت ، فيكون أميناً دقيقاً في الأذان في الوقت عند أول دخوله .

قال رحمه الله تعالى :

٧٤ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ)) .

ثم ختم رحمه الله تعالى الترجمة بهذا الحديث حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ)) ؛ «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ» : أي ينادي بالأذان ، ويشمل كما قدّمت أيضا الإقامة ، والإقامة أذان ((بَيْنَ كُلِّ أَدَانَيْنِ صَلَاةً)) ، فقوله «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ» هذا يتناول نداءه بالصلاة إعلامًا بدخول وقتها ، أو نداءه بالإقامة ، وأنه يشرع في هذا وهذا أن تقول مثل ما يقول المؤذن .

والعطف بالفاء يفيد أنه مباشرة يقول بعده مباشرة ، كلما قال لفظا وفرغ منه تقول مثله ، لا تقول معه ، ولا تقول قبله ، ولا تقول أيضًا بعده متراخيًا عنه وإنما تقول بعده مباشرة ؛ إذا قال «الله أكبر الله أكبر» تقول مباشرة "الله أكبر الله أكبر" .

وقوله ((مِثْلَ مَا يَقُولُ)) هذا لا يقتضي المماثلة من كل وجه ، لأنه هو يؤذن ويرفع الصوت بالأذان فلا يشرع أن تكون مثله أي ترفع الصوت بالأذان ، وإنما تقول مثله أي تقول مثل الكلمات التي قال كلمات الأذان ، كلما قال شيء من كلمات الأذان تقول مثله ((فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ)) ، يستثنى من ذلك عندما يقول «حي على الصلاة حي على الفلاح» فإن السنة جاءت بأن تقول : «لا حول ولا قوة إلا بالله» كما تقدمت الإشارة إلى ما يدل على ذلك وهو حديث عمر بن الخطاب في صحيح مسلم وفيه : ((ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)) ، فخصّ هذا الحديث عموم قوله ((فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ)) ، بمعنى أنه إذا قال «حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ» يقول السامع «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» ، إذا قال «حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ» يقول السامع «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» ؛ وذلك أن الحيلة «حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ» لا تناسب السامع لماذا؟ لأن هذا نداء له ، فالمنادى للشيء لا ينادي ، هو أصلا منادى للصلاة بهذه الكلمات ، فهو منادى ، فهي نداء له لأن يصلي ، يعني الآن هل يناسب أن تنادي شخص "تعال يا فلان" يقول تعال يا فلان ؟ فالمنادى لا ينادي ، وإنما يقول شيء يناسب هذا الذي نودي إليه ؛ فما الذي يناسب أن يقوله عندما ينادى للصلاة ؟ أعظم وهو الذي يقال أن يقول «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» ، دُعي إلى الصلاة وهو لا قدرة له على أن يصلي إلا إذا أعانه الله ووفقه ، فيأتي بهذه الكلمة كاستعانة ف «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» كلمة استعانة ، فإذا الحيلة لا تناسب السامع وإنما الذي يناسبه الحوقلة أن يقول «لَا

حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» ، والغرض من الحوقلة من قول «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» عندما ينادى للصلاة «حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ» طلب المعونة من الله ، لأن «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» هذه كلمة استعانة .

وعرفنا في حديث عمر المتقدم الإشارة إليه وهو في صحيح مسلم أن ثواب هذا الصنيع أن تقول مثل ما يقول المؤذن عظيم جدًا ، إذا تستمع بإنصات وتقول مثل ما يقول من قلبك ثواب ذلك كما جاء في حديث عمر قال ((مَنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ)) ؛ ولهذا ينبغي لطالب العلم وللمسلم عمومًا أن يهتم بالأذان ؛ إذا سمع المؤذن يوقف عمله ، إن كان يقرأ قرآن ، إن كان يراجع متنًا علميًا ، إن كان يبحث مسألة علمية ، إذا كان يتحدث مع أحد زملائه ، إذا كان في أي عمل يوقف كل شيء ويستمع للأذان ، أفضل عمل يفعله المسلم وقت الأذان أن يستمع للمؤذن وأن يقول مثل ما يقول ، حتى إنه أفضل من قراءة القرآن ، لو أن شخصًا عندما أذن المؤذن أخذ يستمع ويقول مثلما يقول والآخر استمر يقرأ القرآن ، الأفضل من هذين هو الذي استمع للمؤذن وقال مثلما يقول . وهذا يفيدنا قاعدة في المفاضلة بين الأعمال : أن العمل المفضل في وقته يكون أفضل من العمل الفاضل ، وأيضا القاعدة في هذا الباب : أن الأفضل من الأعمال في كل وقت الأوفق للسنة في ذلك الوقت . فإذا أذن المؤذن ليس هناك عمل أفضل من أن تستمع إلى الأذان وأن تقول مثل ما يقول المؤذن .

وسبحان الله !! هذا الاستماع والقول بمثل ما يقول المؤذن ؛ هذا يذهب عنك الدنيا والالتفات إليها والاهتمام بها والانشغال بأمورها ، تجد نفسك وأنت تستمع وتقول مثل ما يقول المؤذن تميات للصلاة . ولهذا انظروا لحال كثير من الناس حتى في طلبه العلم ممن أهملوا هذه الشعيرة والعناية بها تجد كثير منهم يأتي وقت الإقامة ويأتي متأخرًا ، لكنه لو أنه عمل بهذا العمل واستمع للأذان وقال مثل ما يقول المؤذن يجد كل الأشياء التي قلبه منشغل بها ومهتم بها تساقطت لا ينتهي الأذان إلا وقد تساقطت من قلبه وأصبح قلبه قلبًا مقبلًا على الصلاة ، لكن إذا أذن المؤذن وهو يتحدث مع هذا ويتحاور مع هذا ولا يستمع للأذان وللحديث يستمع وتقام الصلاة وأحيانًا يستمر الحديث وربما إذا أراد أحد يقوم يقول : " لا ، نلحق الركعة الأخيرة ننتظر نكمل الحديث " ؛ هذه مصيبة وهذا حاصل واقع . فلهذا ينبغي حقيقة أن يُهتم بالأذان سماعًا وقولًا مثل ما يقول المؤذن فهذا له أثر كبير جدا على قلب المسلم تعظيمًا للصلاة

، ولهذا من تعظيم الصلاة أن تستمع للأذان الذي هو نداء لها ، وأن توقف أعمالك حتى قراءتك للقرآن وأن تستمع للأذان وأن تقول مثل ما يقول المؤذن .

أروي لكم قصة حصلت لي وأنا صغير قديماً في مجلس الإمام ابن باز رحمه الله ؛ كنت مع الوالد وكان عنده زحام وأنا في نفسي سؤال أريد أن أسأل الشيخ عنه ، وما تمكنت أدخل مع الزحام فلما أذُن -أظن صلاة المغرب- الناس يعرفون عادة الشيخ انفضوا من حوله ، قلت أنا "هذه فرصتك يا عبد الرزاق" ما عنده أحد ، رحت للشيخ قلت يا شيخ أنا عندي سؤال ، قال: " اسمع الأذان اسمع الأذان" فكانت حقيقة فائدة ثمينة جدا .

وتجد الآن ليس في الأمور العلمية لا في أمور الدنيا واللهو والضحك كل هذه تمضي والأذان يرتفع !! والشيخ رحمة الله عليه فتوى لسائل يستفتيه لم يستمع ونبّهه إلى أن يستمع للأذان ، لأن وقت الأذان والعناية به أمرٌ ليس بالهين ، حتى إن بعض أهل العلم -ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- يقول : إذا أذُن وأنت تصلي النافلة ، في صلاتك النافلة تقول مثل ما يقول ، يعني أما كونك مثلاً في وضعك المعتاد هذا أمر واضح ، قالوا لأن ألفاظ الأذان من جنس أعمال الصلاة ذكّرٌ لله ، فلهذا العاطس يحمد الله فهذه من جنس أعمال الصلاة ، فشيخ الإسلام رحمه الله يرى أنه حتى وأنت تصلي النافلة تقول مثل ما يقول المؤذن ، ومثله في هذا الرأي أيضا الإمام بن سعدي رحمه الله تعالى .

يقول الشيخ ابن عثيمين في هذه المسألة وهو الأقرب : «لكن مسألة إجابة المؤذن^١ وشيخ الإسلام ابن تيمية يقول بها ، أنا في نفسي منها شيء ، لأن إجابة المؤذن طويلة^٢ توجب إنشغال الانسان في صلاته انشغالاً كثيراً ، والصلاة لها ذكّرٌ خاص لا ينبغي الشغل عنه» .

وسألت الوالد عصر هذا اليوم عن هذه المسألة فذكر لي جواباً نحو جواب الشيخ بن عثيمين رحمه الله تعالى وحفظ الله الوالد وجزاه عنا خيراً .

بعد الأذان -ولم يذكره المصنف وهو على شرطه - ؛ ما جاء في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النَّدَاءَ : اللَّهُمَّ

^١ يعني في الصلاة وأنت تصلي النافلة .

^٢ ليست مثل أن تعطس مثلاً فتقول الحمد لله ، أو تسمع مصيبة حصلت فتقول في صلاتك إنا لله وإنا إليه راجعون ، أو تأتيك بشارة بنعمة حصلت تقول الحمد لله ، أو شيء من هذا القبيل ، هذا لا يأخذ منك وقت ، لكن أن تريد أن تقول مثل ما يقول المؤذن وتتابع هذا يأخذ وقتاً طويلاً .

رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)). .

وأيضاً جاء عنه صلى الله عليه وسلم : ((إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَأَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ)) ؛ فالسنة بعد الفراغ من الأذان -وهذا يشمل المؤذن والسماع- أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل الله الوسيلة بهذه الصيغة الماثورة عن نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام . ولا تُدخَل هذه الصيغة في الأذان ، يعني بعضهم يرفع الصوت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مع ألفاظ الأذان كأنها من ألفاظ الأذان وهذه من البدع وهو من الزيادة ، لكن هذا ذكر يشرع أن يقوله المؤذن وأن يقوله السامع كلا منهما بصوت خافت لا يرفع صوته به مثل ما يرفع صوته بالأذان .

وأيضاً من غير رفع لليدين ، ويعتبر رفعهما في هذا الموضع من البدع ، يعني بعض الناس إذا فرغ الأذان رفع يديه وقال "اللهم صل على محمد" ثم قال "اللهم رب هذه الدعوة التامة" وهو رافع يديه ، هذا عملٌ لا دليل عليه وهو من البدع ، وفي فتاوى اللجنة اعتبروا هذا الرفع في هذا الموضع من البدع لأنه لا دليل عليه في هدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .
لعلنا إن شاء الله نكون استفدنا في مسألة سماع الأذان وأناً نتمم بسماع الأذان اهتمام جاد اعتباراً من هذه الليلة من كان عنده تفريط ويؤذن وهو يتحدث مع وزميله الخ يوقفه من هذه الليلة ؛ خلاص استعنا بالله؟ من هذه الليلة ، ونكون بإذن الله ممن انتفع بالعلم الذي يسمعه ، فإن شاء الله من هذه الليلة نستعين بالله عز وجل .

أسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما علّمنا ، وأن يزيدنا علماً وأن يصلح لنا شأننا كله ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، وأن يهدينا إليه صراطاً مستقيماً ، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه.